يميز الناقد بين شيئين اثنين ـ مع قليل من الإرتباك ـ، وهما:

* الرواية تحتوي على الإديولوجيا. (ص: 107).

* الرواية تعبر عن وجهة نظر إديولوجية (ص: 108).

ويتجلى الإرتباك في درجة وضوح هذا التمييز نفسه، فتارة يتضح الفرق بين المستويين السابقين وتارة أخرى يتعتم هذا الفرق إذ تصبح الإديولوجيا المتضمنة في الرواية متداخلة مع وجهة النظر الإديولوجية للروائي مع أن الجمع بين هذين الجانبين يؤدي إلى عدم التمييز بين الرواية باعتبارها تحتوي على عناصر الواقع بما فيها العناصر الفكرية والإديولوجية، وبين الرواية كموقف من هذا الواقع أي كإديولوجيا في حد ذاتها. ونتذكر هنا ذلك التمييز الدقيق الذي وضعه «بيير زيما» بين تأثير الوضعية السوسيولسانية (الإديولوجية) في الرواية، وهي مسألة شرحها «باختين» بمفهوم الحوارية، وبين الدور الإديولوجي الذي تقوم به الرواية باعتبارها اسهاماً فردياً إديولوجياً، له موقعه ضمن الصراع الإديولوجي الفعلي في الواقع[118].

لقد حدد الناقد محمد كامل الخطيب موقفين أساسيين للرواية.

أولاً: رواية مُعارضة للإديولوجيا السائدة.

ثانياً: رواية موافقة للإديولوجيا السائدة (ص: 108).

وهنا أيضاً نجد ارتباكاً آخر يخص مسألة ضبط المصطلحات المستخدمة، فمفهوم «الإديولوجيا السائدة» له معنيان متداخلان يحدثان خللاً بيِّناً في التصور النظري، إذ يفهم منه أولاً أنه تعبير عن إديولوجيا الطبقة المسيطرة على وسائل الإنتاج (ص: 108)، ويفهم منه ثانية مجموع الواقع الإديولوجي لفترة زمنية محددة بما في ذلك مختلف إديولوجيا الطبقات الاجتماعية. (ص: 109).

وعلى الرغم من كل هذه الإرتباكات فإن الناقد يحقق كما قلنا سابقاً أقصى درجات الإنسجام بالقياس إلى ما تحدث عنه في المدخل العام. بل إنه يسجل بعض الجوانب المهمة التي يقوم عليها المنهج البنيوي التكويني، أو سوسيولوجيا الرواية بشكل عام، منها جانب التمييز بين الانتماء الإديولوجي الفعلي للروائي وبين الإديولوجيا التي يعبر عنها في عمله الروائي. وهنا لا بد أن نتذكر إشارة غولدمان إلى أن دور المبدع ـ بما في ذلك آراؤه الشخصية ـ لا يكون حاسماً في بناء موقفه عَبْرَ عمله الفني، فهذا الدور، في حقيقة

---

(118) عالجنا هذه النقطة في نهاية حديثنا عن دور بيير زيما في بناء سوسيولوجيا النص الروائي. انظر الجزء الثالث من القسم الأول. كما توسعنا فيها في الجزء الأول من هذا القسم.